الفصل الخامس

أساليب جمع المعلومات

يهدف البحث النوعي بالدرجة الأساس إلى اكتشاف المعاني وتفسير الظواهر المرتبطة بها، وهذا يعتمد على جمع معلومات وبيانات شاملة وعميقة عن الظاهرة موضوع البحث. ولكي يصل الباحث النوعي إلى مبتغاه يجب أن يكون لديه حصيلة كافية من المعلومات الغنية التي يجمعها من خلال أساليب جمع معلومات متنوعة.

وفي هذا الفصل سيتم الحديث عن أساليب جمع المعلومات في البحث النوعي، مع بيان ميزات كل أسلوب والصعوبات التي قد تواجه الباحث فيه. كما سيقدم الفصل أيضا بعض التوجيهات المهمة التي تساعد الباحث في استخدام هذه الأساليب.

البيانات والمعلومات هي مادة البحث النوعي وهي التي تبعث الحياة فيه، فبدون بيانات وبيانات عميقة وكافية لا يمكن أن يكون هناك نتائج جيدة. والبيانات في البحث النوعي تجمع بشكل أساس من ثلاثة مصادر رئيسة. الأول ما يقوم به الباحث من ملاحظات ومشاهدات ميدانية يسجلها كما يراها. الثاني ما يسمعه من مجتمع البحث إجابة على الأسئلة التي يطرحها عليهم والتي تتضمن مشاعرهم ورؤاهم والمعاني التي لديهم. الثالث النصوص المرقومة سواء على شكل كتابة أو على شكل صور أو على شكل مصنوعات يدوية فنية. وقبل الحديث عن أساليب جمع المعلومات

في البحث النوعي نناقش خصائص المعلومات في البحث النوعي ؛ لأن المعلومات، من حيث طبيعتها وكميتها، من أهم الفوارق بين البحث النوعي والبحث الكمي.

خصائص المعلومات في البحث النوعي:

تشترك المعلومات في البحث النوعي في عدد من الخصائص، نورد، فيما يلي، أهمها:

الوصفية:

فغالب المعلومات تنحو منحى الوصف لما يحدث في سياق البحث، فالباحث في مرحلة جمع المعلومات لا يبحث عن استنتاج الأسباب، ولا العلاقات بل يصف ويسجل ما يراه أمامه أو ما يسمعه. وقد تشترك البحوث الكمية مع البحوث النوعية في الوصف، لكن البحوث الكمية تركز على العدد في الوصف بينما تركز النوعية على المعنى ونوعية المعلومة أكثر من عددها.

الباحث هو أداة الجمع:

فالباحث هو الذي يتولى بنفسه جمع المعلومات ولا يعتمد على أدوات معدة مسبقا. وهذا يساعد الباحث على الفهم الأعمق للظاهرة والتقاط معلومات دقيقة ومهمة قد لا تستطيع أساليب جمع المعلومات الكمية الوصول لها. ولذلك كان أسلوب الملاحظ المشارك participant observer أسلوبا أساسيا في البحث النوعي.

عدم التنظيم:

من خصائص المعلومات أيضا أنها غالبا تكون غير منظمة ؛ وذلك لأنها تجمع في السياق الطبيعي الذي تحدث فيه. وهذا يوجب على الباحث الدقة في التوثيق والبدء بترتيب بياناته من وقت مبكر. وقد يكون استخدام الحاسب مفيدا في ذلك خاصة في البحوث الكبيرة. وستأتي الإشارة إلى بعض البرامج المستخدمة في ذلك.

الكثرة:

من خصائص البحث النوعي أنه يحتاج إلى كم كبير من البيانات، ففي البحث الكمي مثلا قد يكتفي الباحث بما يأتيه من المعلومات من خلال الاستبيان من عينة صغيرة لمجتمع الدراسة. لكن في البحث النوعي حتى في دراسة الحالة الواحدة يجب أن يكون هناك كم كبير من المعلومات عن هذه الحالة على شكل ملاحظة أو مقابلة أو وثائق، مكتوبة أو مصورة، أو غير ذلك، حتى يستطيع الباحث أن يتم عملية التحليل ويتوصل إلى نتائج.

العمق:

فلا يكفي أن تكون البيانات سطحية وانطباعات سريعة، بل لا بد من أن تشتمل على أسئلة عميقة وتفصيلية وملاحظات مطولة حتى تكون مادة ثرية أثناء التحليل، وهذا ما يحصل عليه الباحث الخبير عادة. وما لم تكن كذلك، فسيجد الباحث نفسه غير قادر على التوصل إلى نتائج أو بناء نظرية، ولن يكون قادرا أيضا على إثبات جديته في البحث.

التنوع:

من خصائص المعلومات أيضا التنوع، بل كلما تنوعت المعلومات زادت قيمتها وقوتها، فالمعلومات تشمل أشياء مكتوبة، مثل السير الذاتية والمذكرات الشخصية والأشعار الفلكلورية، وكتابة المقابلات أو الملاحظات الميدانية الناتجة عن الملاحظة. وقد تشمل أشياء مرئية، سواء الأفلام المسجلة أو الصور الثابتة، أو مسموعة، وغير ذلك.

لكي يتعرف الباحث على الظاهرة موضوع الدراسة، ولأجل أن يبني معنى متكاملا عنها أو يخرج بنظرية تفسرها يحتاج إلى كم كبير ومتنوع من المعلومات. وهذا

يتطلب أساليب تختلف عن الأساليب التي تستخدم عادة في البحث الكمي. وفي الجملة فكل أسلوب يمكن أن يقدم معلومة يستفاد منها في تكوين المعنى أو بناء النظرية أو زيادة الفهم للظاهرة فيمكن أن يستفاد منه في جمع المعلومات في البحث النوعي. وفي هذا الفصل سيتم التركيز على الأساليب الأساسية لجمع المعلومات في البحث النوعي، وهي الملاحظة، والمقابلة والوثائق.

أساليب جمع المعلومات

الملاحظة

الطريقة الأساسية والأكثر شهرة لجمع المعلومات في البحث النوعي هي الملاحظة. يمكن أن تستخدم في كثير من أنواع البحث النوعي. وغالبا ما تستخدم هذه الإستراتيجية بما يسمى ملاحظة المشارك ؛ لأن الباحث يعمل مشاركا بشكل أو بآخر في موقع دراسته، فينخرط مع مجتمع البحث في الظاهرة المبحوثة ويعمل معهم كواحد منهم. وربما يطلق على الدراسة التي تركز على استخدام هذه الطريقة ملاحظة المشارك participant observation.

وللملاحظة تاريخ عريق في العلوم الاجتماعية. ولها أهمية كبيرة في البحث التربوي بشكل خاص. فكثير من المواقف التربوية تحتاج إلى أن يقوم الباحث بملاحظتها في وضعها الطبيعي وتسجيل ما يرى ويسمع مما يجري فيها في الحياة اليومية الطبيعية. ففي هذه الطريقة لا يتدخل الباحث في شئون الفئة المراد بحثها، كما في بعض طرق البحث، بل يلاحظ عن قرب ما يدور فعلا في الوضع الطبيعي، ويسجل وصفه بشكل مفصل (Hatch, 2002, p. 72). والهدف من الملاحظة فهم الثقافة أو الظاهرة المدروسة من وجهة نظر المشارك ؛ حيث يحاول الملاحظ أن يرى الواقع من خلال العيش داخل الظاهرة، ليكون أقرب لمن يعيش فيها أو يشارك في صنعها.

والملاحظة قد تكون كمية (منظمة) وقد تكون نوعية غير منظمة؛ ففي الملاحظة الكمية يقوم الباحث بالملاحظة ويسعى لجمع معلومات رقمية (كمية) غالبا عن طريق أداة معدة سلفا؛ فمثلا يقوم بتسجيل عدد الأسئلة التي يلقيها المعلم، وعدد الطلاب المشاركين في الفصل، أو حساب الوقت الذي يستغرقه المعلم في الحديث، أو عدد من يتردد على المرشد الطلابي خلال اليوم، ونحو ذلك. فالملاحظ/ الباحث يهتم غالبا بتسجيل أرقام، وقد سبق وأعد نماذج لذلك.

أما الملاحظة النوعية فهي أقل تنظيما من ذلك، فالملاحظ/الباحث لايستخدم تصنيفات وأنماطا محددة سلفا، بل يسجل ملاحظاته بشكل طبيعي ومسترسل ومفتوح، فيقوم بتسجيل الواقع كما يحدث، بسياقه وأحداثه وأشخاصه تفصيليا، فيسجل مثلا عدد الطلاب المشاركين وأماكنهم ونوعية إجاباتهم وربما ألفاظهم خاصة ما كان له مغزى، وردة فعل المعلم وغير ذلك. والفكرة الأساسية هنا هي أن التصنيف والتوصيف الذي تتعرض له المعلومات الناتجة عن الملاحظة ستظهر بعد جمع المعلومات وتحليلها، بدلا من أن تفرض تعسفا على المعلومات أثناء عملية الملاحظة.

وعندما تكون الملاحظة غير منظمة فإن عملية الملاحظة تنشأ من خلال سلسلة من العمليات المختلفة، فتبدأ باختيار الوضع المراد ملاحظته وتحديد طريقة الوصول إليه ثم بدء عملية الملاحظة والتسجيل. ومع تقدم الدراسة أو البحث تتغير طبيعة الملاحظة بحيث تزداد تركيزا مما يؤدي إلى مزيد من الدقة والوضوح في أسئلة البحث، وهذا بدوره يؤدي أيضا إلى دقة أكثر في اختيار مواضع الملاحظة. وتستمر الملاحظة وجمع المعلومات حتى يحصل للباحث ما يسمى بالإغراق (التشبع) النظري، وهي الحالة التي يحس فيها الباحث أن الملاحظة لم تعد تأتي بجديد في موضوع بحثه، بل تكرار لما سبق.

مميزات الملاحظة

يسوق هاتش (Hatch, 2002) المميزات التالية للملاحظة :

١- تسمح الملاحظة المباشرة للظاهرة الاجتماعية بفهم أفضل للسياق الذي تحدث فيه الظاهرة، فالتركيز لا يكون على أحداث الظاهرة، بل يشمل السياق الذي تحدث فيه، وهذا أمر مهم لفهم الظاهرة.

٢- تمكن الخبرة المباشرة الباحث أن يكون منفتحا لاكتشاف كيف يفهم المشارك الوضع، وذلك بشكل استقرائي.

٣- يكون لدى الملاحظ الفرصة لأن يرى الأشياء المسلمة من قبل المشارك، أو الأشياء التي يفعلها بشكل لا شعوري، ومن غير المحتمل أن تظهر من خلال المقابلة أو أساليب جمع المعلومات الأخرى.

٤- قد يتعلم الباحث المعلومات الحساسة التي قد يتردد المشارك في مناقشتها في المقابلة ويمتنع عن تسجيلها في وثائق.

٥- قرب الباحث من الظاهرة الاجتماعية يسمح له أن يضيف خبراته عن موقع البحث على تحليله لما يقع.

كما أن الملاحظة مفيدة مع المقابلة، فالباحث يستفيد من ملاحظته لمن يقوم بالإجابة على الأسئلة أثناء المقابلة مثل ملاحظة تعابير وجهه أو حركات يديه أو تعامله مع من بجواره أثناء الإجابة، ونحو ذلك.

مستوى المشاركة:

تتدرج مستويات الملاحظة، حيث تبدأ من الملاحظة الصِّرفة التي يكون فيها الباحث منفصلا عن سياق الظاهرة وغير مشارك فيها، بل يقتصر على تسجيل المعلومات كما يراها، إلى مستوى الملاحظ المشارك، حيث يعيش الباحث الظاهرة ويشارك الأفراد الذين يعيشونها حياتهم اليومية ويشاطرهم مشاعرهم وهمومهم.

يصحب الملاحظة عادة تسجيل لما يراه الملاحظ. وما يسجله الملاحظ يطلق عليه الملاحظات الميدانية field notes

الملاحظات الميدانية[١]

تظهر بيانات الملاحظة على شكل ملاحظات ميدانية خام، يقوم الباحث بتسجيلها أثناء ملاحظته في موقع البحث. وتشمل هذه الملاحظات وصفا للأحداث والسياق والأفراد والحوارات، تكتب بأكبر قدر ممكن من التفصيل، فالتفصيل مهم في تسجيل الملاحظات ويخدم الباحث في مرحلة التحليل، وقد يكون هو ما يعطي البحث ميزته (Hatch, 2002). يتم تحويل هذه الملاحظات الميدانية إلى مادة للبحث من خلال عملية استكمال الملاحظات الأساسية وسد الفراغات فيها. وعملية الاستكمال تعني العودة للملاحظات الميدانية الأصلية بأسرع وقت بعد مغادرة موقع البحث لاستكمال التفصيلات اعتمادا على ما يتذكره من موقع البحث.

وقد تضاف إلى الملاحظات الوصفية تعليقات منفصلة للباحث تفيد في توضيح معلومات الملاحظة وقد تكون بدايات لعملية التحليل.

من المهم أن يتدرب الباحث على التركيز على مكان المعلومة المناسبة، فعندما يدخل الباحث إلى موقع البحث سيتعرض لكم هائل من الأحداث المتسارعة وسريعة التشعب التي لا يمكن معها متابعة الملاحظة وتسجيل كل شيء، وسيقع في متلازمة "المكان الآخر" حيث يشعر أن ما يحدث في مكان آخر جدير بالملاحظة مما يدعوه إلى ترك ما يلاحظه في موقع الدراسة. لكن مع وجود خطة ومع التدريب يمكن تجاوز ذلك.

---

(١) في مارشال وروسمان (1999) ص ١٠٩ يوجد نموذج ملاحظات ميدانية.

وهنا بعض التنبيهات التي تفيد الباحث الجديد عند أخذ الملاحظات، (Hatch,2002)، أسوقها باختصار:

١- لا تتوقع الكمال، فقدرتنا على الملاحظة والمتابعة محدودة.

٢- سجل بدقة واحرص على التفصيلات.

٣- ابدأ بوصف السياق الذي يؤطر الدراسة.

٤- ابدأ بنظرة عامة، ثم انتقل للتركيز.

٥- اكتب سؤالا (أو أسئلة) تقود الملاحظة وتوجهها.

٦- ارجع لسؤال الدراسة بين وقت وآخر لتتأكد أنك على الطريق الصحيح في جمع المعلومات.

متى تنتهي الملاحظة

من الأشياء التي يجب أن يتخذ الباحث قرارا حيالها إنهاء الملاحظة. وهذا القرار يعتمد على الأمور التالية:

سؤال الدراسة

حيث إن الإجابة على سؤال الدراسة هو العامل الحاسم في تحديد مدى كفاية المعلومات، فإذا شعر الباحث بأنه قد حصل من المعلومات ما يمكنه من الإجابة على سؤال البحث أو أسئلته فهذا مؤشر على جواز إنها الملاحظة.

مقدار ما يعطيه لك المشارك

فقد يكون سلوك المشارك (المبحوث) متنوعا ومتجددا بحيث يكون مجالا خصبا للملاحظة، فيحتم على الباحث الاستمرار في الملاحظة، وقد يكون رتيبا متكررا، أو يحجم المبحوث عن إظهار بعض سلوكه لإحساسه بأنه ملاحظ، فيكون من غير المفيد الاستمرار في الملاحظة.

الوقت المتاح للدراسة

فالملاحظة قد تستمر وقتا طويلا، لكن غالبا الباحث يكون مرتبطا بجدول زمني للدراسة، يجب عليه أن يتقيد به. فعامل الوقت المتاح يؤثر على موعد نهاية جمع المعلومات. ولذلك يجب على الباحث أن يجدول زمن البحث (خاصة جمع المعلومات) بشكل واعٍ، بحيث لا يستغرق وقته في موضع معين لدرجة يضيق معه الوقت عن تغطية مواضع أخرى.

استيعاب دورة كاملة للظاهرة موضوع الدراسة

فاستمرار الملاحظة لدورة كاملة للظاهرة، مثل ملاحظة سلوك المعلم خلال وحدة دراسية من المقرر، أو مشاركة الطلاب في فصل دراسي كامل، يعطي الباحث إحاطة كاملة بالظاهرة، ويجعله أقدر على تكوين تصور شامل عنها، وبالتالي يجعل معلوماته أكثر ثراء وتماسكا، فالاقتصار على معلومات من أول الوحدة الدراسية، أو من آخر الفصل الدراسي قد يكون مضللا للباحث، بحيث لا تعطيه معلومات كاملة أو تكثر الثغرات في معلوماته.

فعند التفكير في التوقف عن الملاحظة يجب أخذ هذه العوامل بعين الاعتبار، حتى تكون المعلومات مكتملة ومفيدة للباحث. وبشكل عام على الباحث أن يحرص أن يكون ما لديه من معلومات أكثر مما يحتاج، فقد لا تتوفر له المعلومة عند الحاجة إليها مرة ثانية عند انتهاء الملاحظة.

المقابلة

المقابلة نوع خاص من المحادثة أو الحوار مع شخص له علاقة بموضوع البحث يستخدمه الباحث ليستكشف خبرة المقابَل وتفسيراته (Hatch, 2002). وتعد المقابلة من الطرق الرئيسية لجمع المعلومات في البحث النوعي، ويعتمد عليها

الباحثون بشكل كبير. فالمقابلات النوعية تستخرج غالبا معلومات مختلفة عما نحصل عليه من المقاييس والاستبيانات، بل حتى عما نحصل عليه في المقابلات المغلقة النهاية (Marecek, 2003, p. 93).

وللمقابلة عدد من المميزات يمكن إجمالها في التالي:

١- السهولة في التطبيق، قياسا بالملاحظة.

٢- يستطيع الباحث من خلال المقابلة أن يتعرف على أفكار ومشاعر ووجهات نظر الآخرين، والتي ربما لا يستطيع الوصول إليها من خلال الملاحظة، وذلك بطرح أسئلة عنها، ما يمكّنه من إعادة بناء الأحداث الاجتماعية التي لم تلاحظ مباشرة.

٣- يمكن أن تستخدم المقابلة مع أسلوب آخر، إلا أنه يمكن الاكتفاء بها أداة أساسية لجمع المعلومات.

كما أن من مميزات المقابلة أنها تزود الباحث بكم كبير من المعلومات في وقت قصير قياسا بالملاحظة، إلا أن من عيوبها أن من يقابله الباحث يمكن أن يحجم عن إبداء بعض المعلومات المهمة، وربما أعطى معلومات مغلوطة أو غير دقيقة. (Marshall & Rossman, 1999). كما أن جودة المقابلة وفائدتها بالطبع تعتمد على جودة الأسئلة التي تطرح فيها، وقدرة البحث على استدرار المقابل، ورغبة المقابَل بالتعاون، فلكي تكون معلومات المقابلة غنية وعميقة يجب أن يعتني الباحث بإعداد أسئلته واختيار المقابلين.

أنواع المقابلة

١- **المقابلة المنظمة:** وفيها يتم سؤال المشارك سلسلة من الأسئلة المعدة سلفا، والتي سبق وحددت أنماط إجابتها، فهناك قدر ضئيل من التنوع في الأجوبة. وقد تستخدم هنا الأسئلة المفتوحة النهاية. وفي المقابلات المنظمة يتلقى جميع المشاركين

الأسئلة نفسها وبنفس الترتيب والطريقة. ويكون دور الباحث محايدا. وطبيعة هذا النوع من المقابلات يركز على الأجوبة العقلانية وليس على الأجوبة العاطفية.

٢- المقابلة غير المنظمة: وهي مقابلة غير مقننة، ذات أسئلة مفتوحة النهاية وعميقة. في المقابلة غير المنظمة، يكون دور الباحث أقرب لمدير الحوار أكثر منه مقابلا. ويمكّن هذا النوع الباحثَ من فهم تفكير المشارك وسلوكه دون إسقاط فرضيات الباحث السابقة أو تصنيفاته عليه، والتي قد تحد من أقوال المشاركين (Punch, 2000).

٣- المقابلة الجماعية: هي المقابلة التي يعمل فيها الباحث مع مجموعة من الناس في وقت واحد. في هذا النوع يكون دور الباحث إدارة الحوار وتسهيل جريانه وانسيابيته، ومهمته تسجيل التفاعل الذي يدور بين المشاركين، وهذا يتطلب مهارات في إدارة الحوار وتوجيهه الوجهة المرادة. وقد تكون المقابلة الجماعية منظمة، أو غير منظمة. والمقابلة الجماعية قد تظهر جوانب من الحالة المدروسة ربما لا تظهر في أنواع المقابلات الأخرى، وذلك نتيجة لما يعطيه التفاعل بين آراء المشاركين ومشاعرهم وخبراتهم من إثراء للمقابلة وقدح لأفكار الآخرين من المشاركين. ومن مهام الباحث هنا أن يتنبه ألا يتحكم بعض الأفراد في المجموعة أو يسيطر على الحديث.

والتسجيل الصوتي من الأشياء المهمة في المقابلة، فلا يكفي أن يسجل الباحث ملاحظاته أثناء المقابلة (وإن كان هذا قد يكون خيارا مناسبا، أحيانا)، بل لابد من تسجيل المقابلة صوتيا، وذلك لكثرة المعلومات التي تطرح فيها، فالتسجيل يساعد الباحث على إعادة النظر في المعلومات التي قيلت وتأملها مرة أخرى. وقد يكون من المفيد كتابة الملاحظات مع التسجيل الصوتي لتقييد ما قد يلفت انتباه الباحث أثناء المقابلة.

الإعداد للمقابلة

الخطوة الأولى للإعداد للمقابلة هو تحديد نوعها، فإذا كان البحث يسلك المنهج الإثنوجرافي أو ملاحظة المشارك فإن من المرجح أن تشتمل المقابلة على النوعين الرسمي (المنظم) وغير الرسمي. وإن كان العمل دراسة مقابلة نوعية فستكون المقابلة رسمية (منظمة) والدراسة الظاهرية تعتمد على المقابلة الظاهرية، بينما دراسة مجموعات التركيز focus groups كما هو ظاهر من اسمها تحتاج إلى مقابلة جماعية.

وسوف يحدد هدف البحث وأسئلته والإمكانية، وقد تضاف نوعية المشارك، ونوعية المقابلة. وقوة المقابلة تكمن في أنها تمكن من التعمق في تأمل وجهة نظر المشارك. فإن كانت معرفة وجهة النظر تلك هي الهدف فستكون المقابلة في مرحلة ما تفسيرية.

ودائما يوصى بأن يضم إلى المقابلة أسلوب الملاحظة، لأن جمع المعلومات من مصادر مختلفة دائما يزيد من جودة البحث النوعي ويوفر معلومات عميقة للباحث (Hatch, 2002).

تحديد المقابَل (العينة):

بعد تحديد نوع المقابلة يأتي دور تحديد المقابل (من سيقابَل؟) فإذا كانت الدراسة سبق واستخدم فيها الملاحظة وسيستخدم فيها المقابلة، فمن الجيد أن تكون المقابلة مع المشاركين الذين سبق ملاحظتهم، لمعرفة آرائهم في الخبرات التي مروا بها في الوضع الذي سبق ملاحظتهم فيه . وقد يتم اختيار المقابَلين بناء على ما يحتاجه الباحث من معلومات. وأيضا بناء على إمكانية الالتقاء بهم وموافقتهم على إجراء المقابلة. ويجب أن يتأكد الباحث أن من اختارهم للمقابلة هم أفضل من يمتلك المعلومات التي يحتاجها في بحثه. ولذا ففي الدراسات التي تكون فيها المقابلات المنظمة هي الأسلوب الرئيس أو الوحيد لجمع المعلومات يكون اختيار المقابلين صعبا ومعقدا، ويحتاج إلى تفكير ورويّة وقرارات دقيقة. وقد يكون الفرق بين المنهجين الكمي

والنوعي في العينة هو أوضح الفروق، حيث يمكن في البحث النوعي الاكتفاء بحالة واحدة (Patton, 1999).

وقد ذكر هاتش (Hatch, 2002) عددا من المؤشرات التي تعين في اختيار المقابلين أو عينة الدراسة، يمكن الاستفادة منها عند اختيار المقابلين لدراسة ظاهرة ما. وقد لخصتها مع قليل من التعديل في التالي:

عينة الحالات المتطرفة أو الشاذة

ويعنى بالشذوذ هنا معناه اللفظي بمعنى أنها غير عادية وقليلة الحدوث. وتشمل الأشخاص الذين يمثلون الظاهرة بشكل غير عادي، مثل المعلم المثالي في المدرسة، أو المدير المتميز على مستوى المدينة.

التركيز أو الكثافة

وتشمل الأفراد الذين تبدو في سلوكهم الظاهرة بشكل قد لا يكون متطرفا لكنه مكثف ومتكرر، مثل مقابلة الطلاب ذوي فرط الحركة أو النشاط الزائد.

التنوع الكامل والتدرج

حيث تشمل العينة أفرادا متدرجي ومتنوعي وجهات النظر حيال الظاهرة المدروسة. مقابلة ممثلين عن كل فئات الطلاب في المدرسة.

التجانس

حيث تشمل العينة أفرادا يمتلكون صفات أو خبرات متماثلة، كمقابلة المتميزين من الطلاب في دفعة متخرجة من فصل واحد.

الحالات العادية

وتشمل الأفراد الذين يمثلون حالات عادية في الظاهرة، مثل مقابلة طلاب عاديين من وجهة نظر معلميهم.

العينة الطبقية المقصودة

مثل اختيار ممثل لكل صف في المدرسة.

العينة المتنامية snowballing

وتكون عندما يقوم كل فرد من المقابلين بتحديد المقابل الذي يليه، ممن يرى أنه سيفيد في موضوع البحث، مثل مقابلة سلسلة من طلاب الثانوية في موضوع تعاطي المخدرات، بحيث يدل بعض المدمنين السابقين على مدمن جديد.

العينة المرتبطة بمعيار

حيث يشترط في المقابلين أن يتحقق فيهم معيار معين مثل مقابلة مديري المدارس الذين سبق وعملوا في الإشراف التربوي (أو العكس) أو مقابلة معلم ممن يستخدمون التعلم التعاوني في تدريسهم.

العينة المؤكدة أو المناقضة

حيث تشتمل العينة على أفراد يمكن أن تلقي المعلومات التي يقدمونها الضوء على بعض النتائج الأولية التي توصل لها الباحث، سواء بتأكيدها أو معارضتها.

العينة المتيسرة

وتشمل الأفراد الذين يختارون للمقابلة لمجرد سهولة الوصول إليهم، وهذا النوع من أكثر الأنواع شيوعا في المقابلات، وهو أمر غير جيد كما يقو ل هاتش (Hatch, 2002) ويوافقه(Patton, 1990). ولذا يجب أن لا يلجأ إليه إلا عند الضرورة.

العينة النظرية theoretical sampling

وتعني توسع العينة المستمر استجابة للأبعاد التي تنشأ عند بناء النظرية، فبناء النظرية هو الذي يحدد العينة، وذلك بشكل متنامٍ ومستمر، وفيها يقرر الباحث بعد البدء بترميز بياناته ما المعلومات التي يريد أن يجمعها بعد ذلك لكي يكمل بناء نظريته وأين يجد تلك المعلومات (Glasser and Straus, 1967).

وعلى الباحث أن يبرر اختياره للمقابلين، وما سبق يمكن أن يستفاد منه في بيان أسباب الاختيار وتوضيح نوع العينة، وهو ما يزيد في مصداقية الباحث. ويرى هوليداي (هوليداي، ٢٠٠٨) أنه يمكن الاكتفاء بمقابلة ثلاثة أفراد، وأن هذا لا يتنافى مع الصرامة العلمية، إذا راعى الباحث عددا من المبادئ تتلخص في الوصف الدقيق لهؤلاء الأفراد وكيفية مقابلتهم وكيف تم اختيارهم ومناسبة ذلك لسياق البحث وهدفه، ومدى تمثيلهم لمجتمع البحث، ولماذا اعتبر الباحث الصيغ الأخرى لجمع البيانات غير مناسبة، ودعم ذلك بحالات مماثلة من البحوث العلمية في مجال بحثه.

يتلو ذلك تحديد إجراءات المقابلة وتشمل الاتصال بالمقابلين وتعريفهم بهدف المقابلة وأخذ الإذن (المكتوب) منهم وترتيب إجراءات المقابلة وتجهيز أدوات التسجيل. بعد ذلك يقوم الباحث بإعداد أسئلة المقابلة.

أنواع الأسئلة في المقابلة:

يقسم (Berg 1998) (عن Hatch, 2002) الأسئلة في المقابلة إلى أربعة أنواع:

الأسئلة الأساسية، وهي التي تعنى بالموضوع الأساس في الدراسة. ويندر أن تطرح في أول المقابلة. ويمكن أن تطرح مجتمعة أو متفرقة في أثناء المقابلة.

الأسئلة الإضافية، وهي مرتبطة بالأسئلة الأساسية، لكنها تستهدف الموضوع من زاوية مختلفة، أو تطرح نفس السؤال بعبارة مختلفة. وتهدف إلى التعمق أكثر في مناطق محددة من البحث.

الأسئلة المساندة، وهي أسئلة تطرح عادة في أول المقابلة وتشمل المعلومات العامة عن المقابل (الديموجرافية) وخلفيته وسياق الدراسة. وتستخدم عادة إراحة المقابل وإزالة رهبة المقابلة وإعطاءها وضعا طبيعيا ومريحا. وقد تستخدم لكسر حدة وجدية المقابلة.

الأسئلة الساحبة، وهي الأسئلة التي يستخدمها الباحث لدفع المقابل لإعطاء معلومات أكثر عن موضوعات محددة ظهرت أثناء المقابلة.

ويقترح سبرادلي (Spradley, 1979) (عن Hatch, 2002) ثلاثة أنواع من الأسئلة في البحث الإثنوجرافي.

١- الأسئلة الوصفية، وتهدف إلى جعل المقابل يتحدث عن تفصيلات المشهد الاجتماعي الذي تدور حوله الدراسة.

٢- الأسئلة التنظيمية structural، وتهدف إلى جعل المقابل يصف كيف ينظم المعرفة الخاصة بثقافته، بحيث يصنف معرفته ويضعها في مجالات.

٣- أسئلة المقارنة، وتهدف إلى جعل المقابل يصف كيف يصنع لمعنى لما يحيط به من خلال مقارنته بما حوله[1].

وعلى الباحث أن يحذر من الأسئلة التي تقود إلى أنماط أجوبة أو أجوبة متصورة سلفا، بحيث يقسر المشارك في البحث على قول معلومات معينة أو تبني مواقف محددة. وكذلك يجب أن تبتعد أسئلة المقابلة عن الأسئلة التي توجه الإجابة أو التي تنطلق من فرضية أو مسلمة لدى الباحث، مثل أن يسأل الباحث معلما: (صف لي شعورك السلبي عندما يزورك المشرف التربوي) فهذا سؤال مضمن لإجابة، قد تؤثر على المشارك، والصواب أن يكون السؤال: (صف لي شعورك، أو ما هو شعورك عندما يزورك المشرف التربوي؟)، فالسؤال بطريقته الأولى يعزز قناعة لدى الباحث أكثر من استكشافه للخبرة الحقيقية للمشارك، ويفتح المجال لتحيز الباحث، وهو ما يفقد البحث قيمته التفسيرية والاستكشافية.مع أن هذا النوع من الأسئلة المركزة قد تكون مقبولة في مراحل متقدمة من المقابلة، أو مرحلة المتابعة التي يطرح فيها الباحث أسئلة لزيادة

---

(١) انظر أمثلة لكل نوع عند (Hatch, 2002, p. 105)

التوضيح، لكن ليس في مراحلها الأولى، فالمقابل الخبير هو من يستطيع أن يصل إلى المعاني التي لدى المشارك دون أن يملي عليه آراء محددة (Charmaz, 2006).

وتشير (Charmaz, 2006) إلى أن المقابلة المكثفة تتيح للباحث أن:

- يغوص تحت السطح للخبرة الموصوفة.
- التوقف لاستكشاف عبارة أو موضوع.
- طلب مزيد من التفصيلات أو التوضيحات.
- السؤال عن مشاعر المشارك وأفكاره وأعماله.
- جعل المشارك في موضوع البحث.
- الرجوع إلى نقاط سابقة.
- إعادة صياغة عبارة المشارك للتأكد من دقة المعنى.
- إبطاء أو تسريع وتيرة المقابلة.
- تغيير الموضوع الدقيق.
- التأكيد على إنسانية المشارك أو وجهة نظره أو عمله.
- استخدام مهارات الملاحظة والمهارات الاجتماعية لتعميق المناقشة.
- احترام المشارك والتعبير عن التقدير لمشاركته.

كما ينبغي التنبه إلى لغة المشارك أثناء طرح الأسئلة، بحيث تصاغ الأسئلة بلغة مفهومة للمشاركين وتكون ذات معنى في ثقافتهم.

بعد انتهاء الباحث من تسجيل المقابلة، من الضروري أن يفرغ نصها كتابة، بشكل حرفي، ليسهل تحليله والتأمل فيه. وفي كثير من الأحيان يكون مفيدا أن يعاد نص المقابلة لمن أجريت معه المقابلة ليعيد قراءة النص ويضيف ما يراه مناسبا أو يوضح ما يحتاج إلى توضيح.

ويختلف الباحثون في القدر الذي يجب تحويله إلى مادة مكتوبة من المقابلات المسجلة، فيرى هاتش (Hatch, 2002) أنه يجب كتابة كل ما تم تسجيله في المقابلة، لأنه لايمكن أن يقرر الباحث ما هو المهم، فقد تتبين أهمية جزء من المقابلة بعد التحليل، ولا يكون متوفرا في المكتوب، وكل ما جاء في المقابلة هو من بيانات الدراسة. ويرى آخرون أنه يمكن للباحث أن يحدد المقاطع التي تجب كتابتها وإغفال الباقي. وقد يكون من المناسب الاقتصار على ما يرى الباحث علاقته بالدراسة، على أن يعيد استماع المقابلة وقراءة ملاحظاته عليها أثناء التحليل ليتأكد من عدم وجود شيء في المقابلة المسجلة يستفيد منه في التحليل.

الوثائق

الأسلوب الثالث الرئيس لجمع المعلومات هو الوثائق. المواد التي تنتج عن الملاحظة والمقابلة يكون للباحث يد رئيسة في إنتاجها، فلولا وجود الباحث وقصده للبحث لما توفرت. لكن هناك مواد مهمة في البحث النوعي لكنها ليست من إنتاج الباحث، بل هي موجودة، ومهمة الباحث البحث عنها والوصول لها. تلك هي الوثائق.

فالوثائق هي الأشياء المكتوبة أو المسجلة صوتا أو صورة أو المرسومة، مما يمكن استخلاص أي معلومة من خلاله عن الظاهرة المبحوثة، سواء كانت تلك الأشياء رسمية ومنظمة مثل الكتب والسير الذاتية أو كتبت بشكل عفوي مثل المذكرات والمفكرات والرسائل الشخصية. تمثل التسجيلات والوثائق المكتوبة والمصنوعات الفنية اليدوية وسجل المحفوظات (الأرشيف) مصدرا مهما للبيانات في البحث النوعي.

وترجع أهمية هذا النوع من المعلومات من ناحية أنه يعبر بشكل عفوي عن المعاني التي لدى الفرد أو الجماعة المبحوثة، وكثيرا ما يوجد فيه أشياء لا تقال في المقابلات ولا ترى في الملاحظة. كما أن أهميتها تكمن في أنها تغطي جانبا تاريخيا، فقد

يكون من كتب تلك الوثائق ميتا منذ سنوات. مع أن هذه الوثائق قد تستخدم مع الأساليب الأخرى لجمع المعلومات مثل المقابلة والملاحظة، فهي ليست دائما بديلا عنها، بل كثيرا ما تكون مكملة لها.

أنواع الوثائق

تنقسم الوثائق التي تستخدم عادة في البحث النوعي إلى أنوع متعددة، منها:

- الوثائق الرسمية، مثل سجلات المرشد الطلابي في المدارس أو تقاريره أو ما يسجله من وقائع أو يقوم به من دراسات حالة.
- الوثائق الشخصية، مثل الرسائل الشخصية، أو المفكرات، وهي ما يكتبه بعض الأشخاص يوميا عن الأحداث التي تمر به أو يشاهدها. أو المذكرات، وهي ما يكتبه شخص عن أحداث مهمة مرت في حياته. ومثل السيرة الذاتية، وهي رصد يقوم به شخص لمسيرة حياته، أو يقوم به شخص آخر على لسانه أو عنه.
- كتب التأريخ التي تروي بعض الحوادث أو القصص.
- القصائد المحفوظة والأهازيج الشعبية .
- القصص والحكايات والأمثال الشعبية التي يتناقلها الناس.
- الصور التي التقطت في أزمنة مضت، وما تظهره من رموز أو معلومات.
- الأفلام الوثائقية لما لها من قيمة توثيقية وتاريخية.
- كما يدخل في ذلك أيضا النصوص الإلكترونية مثل مواقع الإنترنت الشخصية أو الرسمية، أو المواقع الحوارية.
- المصنوعات الفنية اليدوية، مثل أعمال الطلاب الفنية بل قد يدخل في ذلك الكتابات التي تكون على الجدران، خاصة إذا كانت ظاهرة متكررة. ويعد بعض الباحثين المصنوعات الفنية نوعا مستقلا من مصادر المعلومات تختلف عن الوثائق.

فهذه الوثائق كلها إذا توفرت عن ظاهرة ما أو عن مجتمع يراد دراسته تعطي الباحث النوعي معلومات مهمة وتزيد من عمق التحليل.

البيانات الجيدة في البحث النوعي هي البيانات العميقة والتي لا تكتفي بالبدهيات والأمور العامة التي يراها عادة كل الناس ولأول وهلة، بل كلما كانت البيانات المألوفة معروضة لترى بشكل غير مألوف كان هذا دليلا على جودة البيانات وهو ما يجب أن يسعى له الباحث النوعي، فجوهر البحث النوعي هو أن يحاول الباحث اكتشاف العناصر الأكثر عمقا والأكثر دلالة للحدث الاجتماعي والتربوي.

ملخص الفصل

تناول هذا الفصل جمع المعلومات في البحث النوعي، حيث وضح الفصل خصائص البيانات المجموعة للبحث النوعي، كما شرح أساليب جمع المعلومات، حيث تكلم عن المقابلة وأنواعها وبعض إجراءاتها، كما شرح الملاحظة الميدانية وكيفية بناء الأسئلة، وأيضا عرض لجمع الوثائق بوصفها بيانات مهمة للبحث النوعي. وفي الفصل التالي سيتم الحديث عن تحليل هذه البيانات تمهيدا للوصول إلى نتائج البحث.